موسم الحج ومفهوم الجماعة لدى المسلمين
(تأصيل وتطبيق)

إعداد:
الدكتور / إبراهيم علي عامر
كلية العلوم والتربية بالخرمة
جامعة الطائف

مقدمة

إن الحمد للّه – تعالى – أحمده ، وأستعينه ، وأستغفره ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير ﷺ ، صلى اللّه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ....

فإن لموسم الحج قيمته ومكانته بين المسلمين ، ولا عجب في هذا فهو الوعاء العملي لشعيرة عظيمة وركن من أركان الإسلام متين .

وآثار موسم الحج متعددة المحاور والمناحي ، فمنها ما يتعلق بالأفكار ومنها ما يتعلق بالسلوك ومنها ما يتعلق بالعقيدة ومنها ما يتعلق بالعبادة ؛ والجميع دائر في فلك وعموم مفهوم المنافع في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ([1]).

والورقة المتواضعة هذه محاولة لبيان كيفية الاستفادة من موسم الحج بمفهومه الرسمي في تطبيق وترسيخ مفهوم الجماعة حسب النصوص والأصول الشرعية المتنوعة بفهم سلف الأمة وخيار أزمانها .

وتهدف الورقة إلى :

١-تأصيل الدراسات الاجتماعية الشرعية .

٢-إبراز فوائد وفرائد مواسم الحج والاستفادة منها .

١-سورة الحج : آيات ٢٧ - ٢٨.

٣-دعم المفاهيم الشرعية وتصحيحها بالصورة التي تتناسب مع الأصول والمقاصد .

٤-توعية الحجاج في الموسم بالمفاهيم التربوية للحج وإبرازها في صورتها التطبيقية .

أما عن منهج الدراسة وطريقتها فهو كالتالي :

تقوم الورقة على منهجي التأصيل والتطبيق .

أما التأصيل فيتمثل في جمع النصوص الشرعية المتعلقة بمفهوم الجماعة وصورها ، وترتيبها حسب موضوعات البحث .

وأما التطبيق فيعنى بتطبيق النصوص على واقع موسم الحج وتفاصيله بدءا من المواقيت الزمانية والمكانية انتهاء بجميع تفاصيل الفريضة .

وتتكون الورقة من مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة .

المقدمة : وتتضمن أسباب اختيار الموضوع وأهميته ، ومنهج البحث .

التمهيد : في التعريف بمصطلحات البحث .

المبحث الأول : الأصول الشرعية لمفهوم الجماعة ، وفيه مطالب .

المبحث الثاني : تطبيق مفهوم الجماعة على موسم الحج ، وفيه مطالب .

الخاتمة : في نتائج البحث والتوصيات .

وختاما أسأل اللّه العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين ، والحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث :

يتضمن عنوان البحث عددا من المصطلحات الضرورية البيان ، وهي : موسم الحج ، والجماعة ؛ مما يساعد في نهاية الأمر إلى إدراك مفهوم عنوان البحث كتركيب .

-أولا : موسم الحج :

مصطلح موسم الحج مركب إضافي مكون من مقطعين : موسم (المضاف) ، والحج (المضاف إليه).

ويعود الأصل اللغوي لكلمة : " موسم " إلى مادة (وسم) ، وتنص المعاجم اللغوية أن " الواو والسين والميم : أصل واحد يدل على أثر ومعلم " . (١)

جاء في مختار الصحاح : " موسم الحاج مجمعهم سمي بذلك لأنه معلم يجتمع إليه " . (٢)

١-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٦/ ١١٠ ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ط : دار الفكر - بيروت – لبنان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون.

٢ - مختار الصحاح ١ / ٣٠٠ ، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، ط : مكتبة لبنان -بيروت ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م ، وينظر : العين ٣٢٢/٧ للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ط : دار ومكتبة الهلال ، ولسان العرب ٦٣٦/١٢ لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى.

والخلاصة أن الموسم في اللغة هو : ذلك الشيء المعلم بأثر باق فيه ، أو المعروف بمعالم معينة ، أو المحدد بزمن معين ، وكلها معان ترتبط بمفهوم الموسم الخاص بالحج .

أما الموسم في الاصطلاح اللغوي العام فهو كما جاء في المعجم الوسيط : المجمع الكثير من الناس ، وموسم الشيء وقت ظهوره فيه أو اجتماع الناس له كموسم العنب أو القطن أو الحج ..... " . (١)

ثانيا : الجماعة :

يعود الأصل اللغوي لكلمة : " جماعة " إلى مادة (جمع) ، ومادة : " الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء " . (٢)

ويتفرع عن هذا الأصل اللغوي عدد من الألفاظ الدائرة حوله وفي محوره من نحو : " الجمع : اسم لجماعة الناس ، و الجمع : مصدر قولك جمعت الشيء . و الجمع : المجتمعون ، و الجماعة و الجميع و المجمع و المجمعة : كالجمع. (٣)

والخلاصة أن الجماعة في اللغة اسم للجمع من الناس سموا بذلك لاجتماعهم اعتقادا أو عملا .

وأما في الاصطلاح الشرعي فقد تنوع تفسير العلماء للمراد من الجماعة ، وقد جمعها الإمام الشاطبي رحمه اللّه في كتاب الاعتصام (٤) في خمسة أقوال هي باختصار :

-الأول : أنها السواد الأعظم ، والمقصود بهم : الناجون من الفرق فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ومن خالفهم مات ميتة جاهلية سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق .

-الثاني : إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميته جاهلية لأن جماعة اللّه العلماء جعلهم اللّه حجة على العالمين وهم المعنيون بقوله عليه الصلاة و السلام : [إن اللّه لن يجمع أمتي على ضلالة] وذلك أن العامة عنها تأخذ دينها وإليها تفزع من النوازل وهي تبع لها فمعنى قوله : [لن تجتمع أمتي] لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة .

-والثالث : أن الجماعة هي الصحابة رضوان اللّه عليهم على الخصوص فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلا وقد يمكن فيمن سواهم ذلك !.

-والرابع : إن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم وهم الذين ضمن لنبيه عليه الصلاة و السلام أن لا يجمعهم على ضلالة فإن وقع بينهم اختلاف فواجب تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه .

١-ينظر: المعجم الوسيط ١٠٣٢/٢، ط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٢-معجم مقاييس اللغة ٤٧٩/١ ، وينظر : لسان العرب ٥٣/٨ .

٣-ينظر : لسان العرب ٥٣/٨ .

٤-ينظر : (٢٠٩/٣-٢١٦) بتصرف ، ط : دار ابن الجوزي – السعودية ، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .

-والخامس : ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير فأمر عليه الصلاة و السلام بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم لأن فراقهم لا يعدو إحدى حالتين إما للنكير عليهم في طاعة أميرهم والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب بل بالتأويل في إحداث بدعة في الدين كالحرورية التي أمرت الأمة بقتالها وسماها النبي ﷺ مارقة من الدين وإما لطلب إمارة من انعقاد البيعة لأمير الجماعة فإنه نكث عهد ونقض عهد بعد وجوبه .

والإشكال المتوهم في هذه الأقوال كونها متنوعة الألفاظ ،ومختلفة فيمن تصدق عليه ، فبعضهم خص المفهوم بالصحابة وبعضهم بالعلماء المجتهدين ، وبعضهم بالسواد الأعظم ، وبعضهم خصها بحالة وجود أمير أو ولي أمر ، لكن يمكن إزالة هذا الإشكال بتوجيه المفهوم وحصره في المنهج، ويؤيد هذا ما ورد عن ابن مسعود ﷺ:" إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ ". (١)

قال أبو شامة المقدسي : " وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به: لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيرا؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي اللّه عنهم، ولا ينظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم " . (٢)

مما سبق يمكننا القول : إن مفهوم الجماعة بالمعنى العملي المناسب لعصورنا هو : مفهوم يشمل كل ما كان عليه النبي ﷺ من الأمور الاعتقادية، والعملية العلمية، والظاهرة والباطنة، ومصالح الأمة العظمى وغيرها . (٣)

ونؤكد هاهنا ضرورة ضبط المفاهيم الهامة بضوابط الشريعة ، فلا يحق لجماعة أو فئة أن تعتقد من تلقاء نفسها انحصار مفهوم معين في أفرادها ؛ فالعبرة بالمنهج وليست بالأشخاص .

-ثالثا : مفهوم عنوان البحث تركيبا:

بناء على المعنى اللغوي والاصطلاحي الذي خلصنا إليه لمفردات عنوان البحث ؛ يمكن القول : إن مفهوم عنوان البحث تركيبا هو : ماهية العلاقة بين موسم الحج الذي تنظمه المملكة وتقوم عليه خدمة ورعاية وعناية بمختلف المجالات وبين تحقيق مفهوم الاعتصام بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ وحفظ بيعة أئمة المسلمين وولاتهم واجتماع كلمة المسلمين في شتى مجالات حياتهم التي يصح أن يجتمعوا فيها كالأحكام الشرعية والولاء والبيعة وغيرها .

المبحث الأول: الأصول الشرعية لمفهوم الجماعة

المطلب الأول : أصول مفهوم الجماعة من القرآن الكريم والسنة النبوية

١-ذكره اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ، رقم ١٦٠ ، ط : دار طيبة – الرياض ، ١٤٠٢ هـ .

٢-الباعث على إنكار البدع والحوادث ، ص ١٩ ، ط : مطبعة النهضة الحديثة – مكة المكرمة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .

٣-ينظر : شرح الطحاوية لناصر العقل ١٠٦/٤.

القرآن الكريم هو المصدر الأول لدين الإسلام عقيدة وشريعة ، والسنة النبوية هي المصدر الثاني ، وبالتالي هما أصلا كل مفهوم واعتقاد أو سلوك يتعلق بالدين والأمة .

-أولا : أصول مفهوم الجماعة من القرآن الكريم :

المتأمل آيات القرآن الكريم لا يقف على لفظ الجماعة فيه ، ولكنه يجد حديثا غير قليل عن مفهوم الجماعة ومعناه ترغيبا في الاعتناء بها وترهيبا من مفارقتها ومخالفتها ، هذا باعتبار آيات القرآن بصورة عامة ، أما المتأمل آيات الحج بصورة خاصة ؛ فإنه يجد رعاية وعناية بمفهوم الجماعة تطبيقا ومقصدا واضحا في جميعها .

ونكتفي من الآيات العامة في تأصيل مفهوم الجماعة بقوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١).

فهذه الآية الكريمة أصل عظيم في تأصيل مفهوم الجماعة بمعناه عند اهل السنة والجماعة ، فهي دعوة صريحة لجمع الكلمة وتوحيد الصف ، وتحذير من التفرق ونهي عنه ، بل واعتبار الجماعة نعمة من نعم اللّه – تعالى – على الأمة ، ودامها دوام نعمة وهداية ونجاة ، والعكس صحيح .

يقول الإمام الطبري : " يريد بذلك تعالى ذكره : وتمسكوا بدين اللّه الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر اللّه " . (٢)

ويقول الإمام السمرقندي تفسيراً للآية : " قوله تعالى : چواعتصموا بحبل اللّه جميعاچ يقول : تمسكوا بدين اللّه وبالقرآن ويقال : تمسكوا بسبيل السنة والهدى چولا تفرقواچ ، يقول : ولا تختلفوا في الدين كاختلاف اليهود والنصارى ويقال : لا تختلفوا فيما بينكم بالعداوة والبغضاء " . (٣)

وقال أبو حيان : " أي استمسكوا وتحصّنوا ، وحبل اللّه : العهْد ، أو القرآن ، أو الدين ، أو الطاعة ، أو إخلاص التوبة ، أو الجماعة ، أو إخلاص التوحيد ، أو الإسلام . أقوال للسلف يقرب بعضها من بعض (٤)."

وهكذا لا تخرج أقوال المفسرين والعلماء في المراد بالآية الكريمة عن معان متقاربة جلها منقول في الغالب عن السلف – رضوان اللّه عليهم -.

---

١ - سورة آل عمران : ١٠٣ .

٢ - تفسير الطبري ٣٠/٤، ط : دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥هـ.

٣ - تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ٢٥٩/١، ط : دار الفكر - بيروت ، تحقيق /محمود مطرجي .

٤ - تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ٢٠/٣ ، ط : دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى .

أما بالنسبة لآيات الحج في القرآن الكريم فمتأملها يجد مفهوم الجماعة مقصدا من مقاصد كل منها بدون شك ، وأكتفي من تلك الآيات بقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾(١) ، فكما هو ظاهر من لفظه أنه يحرم على من تلبث بالحج الرفث والفسوق والجدال ، ويحثه على فعل الخير عامة ، ويوصيه بالتزود من التقوى ، والشاهد في الآية الكريمة هو تحريم الرفث والفسوق والجدال –على اختلاف أقوال المفسرين في المراد بكلٍ (٢) - وتقديم ذكر تحريمهم على ما تضمنته الآية من توجيهات أخرى .

كما أن أسلوب الآية الكريم " نفيٌ وحقيقته نهيٌ أي لا يرفثْ ولا يفسقْ وهو أبلغ من النهي الصريح ؛ لأنه يفيد أن هذا الأمر ممّا لا ينبغي أن يقع أصلاً فإنَّ ما كان منكراً مستقبحاً في نفسه ففي أشهر الحج يكون أقبح وأشنع ففي الإتيان بصيغة وإرادة النهي مبالغة واضحة " (٣) في تحريم المذكورات.

والمقصد الأسمى من هذا التوجيه في نظري يحقق مفهوم الجماعة ويطبقه عملا وسلوكا ؛ وذلك أن الفسوق والجدال مع المسلمين ينافي حالة الجماعة وانتفاؤهما يعني تحقق مفهومها .

-ثانيا : أصول مفهوم الجماعة من السنة النبوية :

ورد الحث على ملازمة الجماعة والترغيب فيها والترهيب من مفارقتها والتحذير منه في عدد غير قليل من أحاديث النبي ﷺ ، وذلك بلفظ (الجماعة) ، وكذلك بمفهومها والعناية بما يؤسسها ويرعى دوامها .

وأكتفي من ذلك أيضا بحديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " من حَجَّ هذا الْبَيْتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كيوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " (٤) ؛ وذلك لتعلقه بتحقيق الجماعة كمقصد ولكونه في باب الحج.

---

١ - سورة البقرة : ١٩٧ .

٢ - يمكن تلخيص أقوال المفسرين والمحدثين في المراد بالمفردات الثلاث فيما يأتي :

-الرفث : يطلق على الجماع أو ما يؤدي إليه ويتعلق به .

-الفسوق : هو ارتكاب المعاصي عموما ، أو ارتكاب ما نهي عنه في الإحرام من الصيد ونحوه .

-الجدال : وهو المراء الذي يسبب الغضب ، وقد يراد به عموم الجدال ، أو الجدال في أمور الحج ، وعلى كل فهو مذموم .

ينظر : تفسير ابن كثير ٢٣٧/١، ٢٣٨ ، وشرح صحيح البخاري لابن بطال ٤٧٦/٤ ، ط : مكتبة الرشد – الرياض ، الثانية ، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م .

٣ -صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ١١٧/١ ، ط : دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

٤ -أخرجه البخاري في صحيحه ٦٤٥/٢ ، كتاب : الحج ، أبواب الإحصار وجزاء الصيد ، باب قوله تعالى : (فلا رفث) ، ح ١٧٢٣ ، ومسلم في صحيحه ٩٨٤/٢ ، كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ، ح ١٣٥٠ .

ولن أطيل في شرح الحديث لما مر من توضيح للمراد بألفاظه الغريبة ، غير أن ألفت الأنظار إلى اهتمام الحديث بانتفاء الرفث والفسوق – بمعناهما المتنوع – عن موسم الحج سلوكا لكل أفراده ، ولو تحقق هذا الانتفاء كان مفهوم الجماعة محققا وواقعا .

المطلب الثاني : أصول مفهوم الجماعة من خلال أقوال السلف والعلماء :

ورد بيان مفهوم الجماعة في أقوال السلف الصالح رضوان اللّه عليهم ، وبيانهم له قيمته ومكانته من حيث قربه من المصادر الأصلية للدين زمنا وإدراكا وتصور وتصويرا ، ونسوق طرفا منها لتعم به الفائدة :

-عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ ، قَالَ: «أَمَرَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ».(١)

وعَنْ ثَابِتِ بْنِ قُطْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فَإِنّهُمَا السّبِيلُ فِي الْأَصْلِ إِلَى حَبْلِ اللّهِ الّذِي أَمَرَ بِهِ ، وَإِنّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ».(٢)

وعَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، قَالَ: " كَانَ يُقَالُ : " خَمْسٌ كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ مُحَمّدٍ ﷺ وَالتّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ: لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَاتّبَاعُ السُّنّةِ، وَعِمَارَةُ الْمَسَاجِدِ ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ" . (٣)

وقال الطحاوي في عقيدته: "ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة "، وقال أيضا: " ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا " (٤).

المبحث الثاني: تطبيق مفهوم الجماعة على موسم الحج

كما هو واضح مما سبق فإن مفهوم الجماعة لدى المسلمين هو منهج وتطبيق ، ولا شك أن المنهج والتطبيق يحتاج إلى ساحة عملية لبيان تفاصيله وتصحيح القصور المحتمل في بعض جوانبه ، وليس مجال أرحب ولا أنسب من موسم الحج لتطبيق مفهوم الجماعة وتحقيق هذا المقصد الشرعي السامي لعديد من الآيات والأحاديث والآثار .

ولتطبيق مفهوم الجماعة في الحج صورتان أساسيتان الأولى تتعلق بموسم الحج إجمالا أو باعتباره وحدة واحدة ، والأخرى تتعلق بتفاصيله وشعائره ؛ لذا كان هذان المطلبان .

---

١ - ذكره االطبري في تفسيره ٣٣٠/٥.

٢ - ذكره االطبري في تفسيره ٣٢/٤ .

٣ - ذكره اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ٦٤/١ .

٤ - ينظر : متن العقيدة الطحاوية ٤٨/١ ، ٦٠ ، ط : دار المكتب الإسلامي – بيروت ، الأولى ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م ، بتحقيق العلامة الألباني .

المطلب الأول : تطبيق مفهوم الجماعة على موسم الحج إجمالا

يقصد بتطبيق مفهوم الجماعة على موسم الحج إجمالا اعتبار العبادة الموسومة بالحج ، أو النظر إلى المجموع المعلوم من الشعائر المسمى حجا .

والمنهج الأمثل لإدراك هذه الغاية لابد أن يبدأ من مقاصد الشريعة في عبادة الحج وينتهي إليها .

ومن أهم مقاصد الشريعة في الحج اجتماع الحجيج الوافدين من مختلف أنحاء الأرض في صعيد واحد يؤدون فريضة واحدة طاعة لربهم الواحد ملتمسين غفرانه ورحمته مظهرين إيمانهم معبرين عن وقوفهم واتحادهم وتمسكهم بحبل اللّه المتين وصراطه المستقيم.

والحاج عندما يأتي إلى هذه الديار المقدسة فإنما يستشعر بنفسه أو يستشعر نفسه كعضو في جسد أكبر وفرد في أمة كبيرة مترامية الأطراف أمة لا تعرف التقسيمات السياسية ولا الحدود الجغرافية .

وكل حاج بالصورة الذهنية السابقة فرد في جماعة المسلمين المنشودة ، وعضو غير مستغنى عنه في تلك الأمة الموجودة .

ومن مقاصد الحج تحقيق الأدب الكامل مع الناس والحيوان والجماد أثناء عبادة الحج ، فإنه سيعمل جاهداً على التخلي بذلك الأدب والاتصاف بسائر خصال الحج المبرور والعبادة الصحيحة والكاملة وذلك من أجل إرضاء اللّه تعالى الذي قصد ذلك الأدب واراده من عبادة وخلقه ، أما إذا اكتفى الحاج بالقيام بمظاهر الحج وصوره وكيفياته المجردة عن معانيه وأخلاقه ومراميه ، فإنه لن ينال من حجه سوى التعب والنصب ، ولن يحصل له سوى الانتقال والترحال ، ولن يغنم إلا الألقاب والأسماء والشهرة .

والمتأمل في نصوص وأحكام الحج يدرك تمام الإدراك ان مشروعية الحج ومقصديته ومنظومته ترنو إلى بناء الإنسان الصالح وتأسيس العلاقات الإنسانية الراقية والفاضلة ، وبناء الخلق والأدب ، وقد بينا فيما سبق مفهوم الجماعة المضمن في نصوص القرآن والسنة المتصلة بالحج ، ومنها ما يتعلق بالحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة .

وليس معنى الحج المبرور إلا أداء فريضته وأعماله بأحسن الصور وأفضل الطرق التي تجمع بين فعل الظواهر وتخليص السرائر من كل ما يخدش الاعتقاد الصحيح ، ومن كل ما يقطع التعامل النبيل والخلق الأصيل .

وبينٌ أن هذه المقاصد السابقة والتي أسلفنا ذكراً إشارة الأصول الشرعية إليها تحقق مفهوم الجماعة بالمعنى الذي يجمع كل أفراد الأمة دون تمييز بعصر أو طائفة أو بلد .

المطلب الثاني : تطبيق مفهوم الجماعة على موسم الحج تفصيلا

يتكون موسم الحج بمفهومه الرسمي من عدد من التفاصيل هي في ذاتها شعائر الفريضة المعروفة ، والشعائر الخاصة بالحج كالمواقيت والإحرام والتحلل والهدي والرمي تطبيق عملي لمفهوم الجماعة من خلال المبادئ الكامنة فيها ، وأهم هذه المبادئ ما يلي :

أولا : الالتزام ، ويتمثل في المواقيت الزمانية والمكانية ، واللباس وما يتعلق بالإحرام والتحلل .

والالتزام ضرورة من ضرورات تحقيق مفهوم الجماعة ، وإلا لما كان للمفهوم معنى ، إذ لا بد في تحقيق المفهوم من تحقيق عدد من الشروط والضوابط لا يبارح مبدأ الالتزام واحدا منها .

ويندرج تحت مفهوم الالتزام المحقق لمفهوم الجماعة جميع ما يتعلق بلوائح وأنظمة المملكة في تنظيم وضبط الموسم .

ثانيا : الوحدة ، وتعني وحدة المقصد ووحدة الأمل ، فكل حاج وصل الديار الطاهرة يتوجه إلى مشاعر محددة ويأمل القبول والتيسير .

والوحدة أصل الأصول فيما يتعلق بمفهوم الجماعة تأسيسا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ ([1]) .

الوحدة مساواة بين المتسابقين في الخيرات كلهم سواء ولا حجب لأحدهم عن مشعر ما أو نحوه ، وإلا كان في الحج خلل ، ويكون الحج بمثابة ميدان يثبت فيه المتنافسون أيهم أحق عضوية في الجماعة المؤيدة بيد اللّه .

والوحدة في الموسم تكون بتخلي المسلم عن عصبياته وموروثاته غير الملائمة لحالة الموسم ومفهوم الجماعة .

وتكون أيضا بتوحد الأفعال بين الجميع من لباس وقصد وزمن دون فرق بين فرد وآخر .

وتكون كذلك باتباع المنهج الشرعي في الحج الذي ترعاه المملكة بداية من رؤية أهلة الشهور انتهاء بالترتيبات التفصيلية الخاصة بالتفويج والنفرة وسائر الشعائر .

ثالثا : المتابعة ، وتتمثل في الاقتداء بسيد الناس ﷺ في مناسكه وحجه استمرارا وتواترا .

ومن السهولة بمكان الوقوف على قيمة المتابعة وعلاقتها بتحقيق مفهوم الجماعة ، وذلك بافتراض عدمها – لا قدر اللّه ذلك -، وكذلك بالوقوف على حكم تشريع لكل شعيرة من شعائر الحج ، فبعضها ظاهر ، والبعض مبني على التسليم للشارع جل وعلا .

وحيثما كان المنهج المتبع في الحج سالما من اعتراض معترض وموسوما بمراعاته الاتباع وتجنبه الابتداع فهو حري بأن يتبع وألا يعارض .

---

١ - سورة الحجرات : آية ١٣ .

رابعا : البراءة من كل ما يخالف المشروع ، ولعل ذلك يتجلى في رمي الجمرات دحرا للشيطان وتبرؤً منه ، وهذا العمل وإن كان أحد شعائر الحج المعروفة شكلا ، إلا أن التأمل بنظرة مقاصدية فيه قد توصلنا إلى تلاق بينه وبين مفهوم بالجماعة المنشود ، وذلك من حيث كون الشيطان وأعوانه دائما في جانب الفرقة والاختلاف ، والبراءة منه ومن سائر المخالفات تسهم في تطبيق مفهوم الجماعة لدى عموم المسلمين .

وختاما أقول : إن موسم الحج بمعناه المؤسسي المعروف في المملكة العربية السعودية يساهم في تحقيق مفهوم الجماعة لدى المسلمين من خلال الأسلوب والمنهج المتبع في إدارة الموسم ، حيث حددت الاختصاصات وأوكلت المهام إلى ذويها .

وكذلك لا يخفى ما يساهم به التطوير متمثلا في التوسعات بالحرمين والمشاعر أو الاستفادة من الخبرات والدراسات في تنمية هذا المفهوم المنشود ، حيث يتسع الموسم – إن شاء اللّه – لأعداد أكثر من الحجيج ويستفيد الجميع في النهاية الوصول إلى حالة الجماعة .

الخاتمة

أولا : نتائج البحث

وفرة النصوص الشرعية المؤصلة لمفهوم الجماعة .

حاجة مفهوم الجماعة للتصحيح لدى بعض قطاعات الأمة .

تعتبر السنة النبوية الصورة التطبيقية النموذج لممارسة مفهوم الجماعة .

موسم الحج حالة نادرة من حلات الجماعة التطبيقية الفعلية .

يعتبر كل ركن من أركان الحج صورة للجماعة المسلمة وحالة واقعة لها .

ثانيا توصيات الباحث

ضرورة نشر ثقافة الجماعة لدى الحجاج .

توافر وسائل نشر المفهوم الصحيح للجماعة لدي الحجاج .

عقد دورات للمرشدين لتوعيتهم بالمفاهيم المحتاجة إلى تصحيح لدى الحجاج وطرقها .

الاستفادة من وسائل الإعلام الوطنية في الموسم لتطبيق المفاهيم الصحيحة .

الاستفادة من الحالة النفسية والإيمانية للحجاج في تأصيل مفاهيم شرعية من نحو : القدوة – الأمة – الجماعة المسلمة . .....

المراجع

أهم مراجع الورقة ومصادرها

الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط : دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سعيد المندوب . .

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت

أسرار التكرار في القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، ط: دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦ ، الثانية ، تحقيق : عبد القادر احمد عطا .

-البيان الختامي للدورة الثالثة والثلاثين لندوة الحج الكبرى المنعقدة في مكة المكرمة أيام ٣-٥ من شهر ذي الحجة ١٤٢٩هـ الموافق أيام ١-٣ ديسمبر(كانون الأول) ٢٠٠٨م .

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، تحقيق محمد علي النجار .

تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، ط : دار الهداية ، طبعة محققة .

تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١هـ .

تفسير الآلوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني اسم المؤلف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

تفسير البيضاوي ، ط دار الفكر – بيروت .

تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥ هـ .

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١، وينظر تفسير مقاتل بن سليمان ،ط دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أحمد فريد .

تفسير القرطبي ، ط : دار الشعب – القاهرة .

التفسير الكبير ، وهو لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ،ط دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الأولى .

تفسير مقاتل بن سليمان البلخي ، ط دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أحمد فريد .

تهذيب الأسماء واللغات ،ط دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات .

تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ط : دار إحياء التراث العربي - بيروت ٢٠٠١م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد عوض مرعب .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين .

الرحيق المختوم للمباركفوري ط : وزارة الأوقاف – قطر -١٤٢٨هـ .

زاد المسير في علم التفسير اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة .

زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٢٣٣/٦، ط المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة ..

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ،ط: دار الكتب العلمية -بيروت - ١٤١٤هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ،

السيرة النبوية - عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث ، د/ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، ط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

السيرة النبوية دروس وعبر د / مصطفى السباعي ، ط المكتب الإسلامي – بيروت ، دمشق – ١٤٠٥هـ -١٩٨٥ م .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط دار الفكر – بيروت .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط : دار الفكر – بيروت .

في ظلال القرآن ، سيد قطب (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ، ط دار الشروق - بيروت- القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .

اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ، الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .

لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى بدون تاريخ ،

محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، ط دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، ط مكتبة لبنان بيروت ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م ، تحقيق : محمود خاطر .

مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبداللّه الشيباني ، ط : مؤسسة قرطبة – مصر .

المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط دار الدعوة بالقاهرة ، تحقيق : لجنة من المجمع .

معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ط : دار الجيل - بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م ، الطبعة الثانية ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .

النكت والعيون (تفسير الماوردي) اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - لا يوجد ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم

والحمد للّه أولا وآخرا

وصلى اللّه وسلم وبارك علي نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين